التعريف والنقـد

مروان بن محمـد

وأسباب سقوط الدولة الأموية

دار لسان العرب « بيروت » ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢ م

الأستاذ عارف النكدي

هذا الكتاب هو تاريخ للعهد الأخير من الدولة الأموية في الشرق . وضعه القاضي سعدي أبو جيب ، وقدم له الدكتور شاكر مصطفى ، فأحسن كلاهمـا : الدكتور في مقدّمته ، والمؤلف في كتابه ، أحسنا معنى ومبنى ، فليس من حق ما يكتب عن بني أمية ، واللغة العربية كانت في المنزلة التي كانت ، أن يكتب عنها بغير الأسلوب الذي كتبت فيه المقدمة ووضع فيه الكتاب .

ينفي صاحب المقدمة عن مروان (ظلم التاريخ له حين يجعل نهاية الدولة الأموية على يديه ومن عمله ، وما له في الأمر يدان ، وإنما جنى الشوك الذي كان زرعه الآخرون) وهو القول الحق . فالدولة الأموية كانت تحتضر قبل مروان ابن محمد ، وهذا ماأثبته المؤلف فيما عدّده من فساد في الداخل وتزاحم على الخلافة وتقاتل في سبيلها ، وما أحاط بها من فتن وثورات واضطرابات على ما يقوله المؤلف ، وهو الواقع .

نقول : حال لا يقوى خليفة على دفعها ولا القضاء عليها ، أكان مروان بن محمد ، أم غيره .. حتى ولو كان عمر بن عبد العزيز الذي ذهب المؤلف إلى أنه لها ...

دولة مترامية الأطراف ، مختلفة الشعوب ، متباينة المذاهب .. السياسية والدينية ، كانت تجمعها جامعة من الدين ، ففترت حدّته ، وغلبت عليه المطامـع

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والأغراض فالتفت الناس إلى وجه جديد يغيرون معه ما كانوا فيه، جاهلين ماعسى أن يقع لهم، مثلهم مثل من همه أن يخرج مما هو فيه، ولا يبالي على أي جنبيه وقع.

ويدخل بك المؤلف إلى كتابه في مدخل يقول فيه: «التاريخ، قصة حكاية ودرس، هو تصوير للحياة بواقعها، بكلّ مافيها من خير وشر ... في تاريخ الدولة تجد تصوير حياتها في عزها وذلها، وفي انتصارها وهزيمتها، وتجد وصف أيام شبابها وكيف هوت وما هي أسباب كل ذلك».

وبعد هذا المدخل، يحدثك المؤلف في خطبة الكتاب: عن مروان كيف اعتلى عرش الخلافة، ثم ما كان من الأحداث في عصره وكيف عالج ماعالج منها، وكيف عجز عما عجز عنه، إلى أن سقطت الدولة الأموية، وقامت الدولة العباسية.

ومزايا مروان كثيرة، وأخطاؤه قليلة قلّ أن يسلم من مثلها عظيم من العظماء.

والكتاب، على ما فيه من اختصار وإيجاز، يعطيك الصورة الصادقة عما كان، وعما كان يمكن أن يكون.

وللدولة – على ما قال ابن خلدون – أعمار (فإذا جاء أجلهم لايستقدمون ساعة ولا يستأخرون).

عارف النكدي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net